الواقعية في الرواية السعودية الحديثة

عبير الشهراني

أهـــــــــــــداء

إلـــي مـــن أضـــاء بعلمـــه عقـــل غيـــره ..وهـــدى بـــالجواب الصـــحيح حيـــرة ســـائليه؛ فـــأظهر بســـماحته، تواضـــع العلمـــاء وبرحابتـــه، ســـماحة العارفين...........

إلى أستاذي ومعلمي الفاضل / دكتور حسن حيدر

ابنتكم:

عبيرالشهراني

المقــدمة

ذكر الدكتور محمد عبد الرحمن شامخ في كتابه النثر الأدبي[1]" لقد شُغل الباحثون في الأدب الحديث في هذه البلاد بالشعر عن النثر، ولذلك يجد دارس النثر الأدبي نفسه كما لو كان في ميدان جديد. وإذا كان في هذا ما يغريه بالموضوع، فإن فيه ما يزيد من المصاعب التي تعترض سبيله حين يسعى للحصول على المصادر الأدبية التي انتجت منذ مطلع هذا القرن. وفي الحقيقة أن مهمة البحث في النثر الأدبي الحديث بهذه الديار إنما تتجاوز حدود بحث من الأبحاث"

إن تتبع الاتجاه الواقعي في الرواية السعودية الحديثة، يُعد محاولة للبحث عن خصوصية هذه الرواية، وما تكتنزه من معايير وقيم إنسانية، نابعة من الواقع البيئي والفكري المتمييز للقاص السعودي.

خاصة وأن الاتجاه للواقع من أكثر الاتجاهات الأدبية، شيوعًا واعتناقًا لدي كتاب الرواية في مجتمعنا، مما قد يعطي لهذه الدراسة شرف المحاولة في كشف عوامل وأسس الواقعية في الرواية السعودية المعاصرة ، وبالتالي إعطاء صورة وافية - إلى حد ما - عن واقع الرواية السعودية، في بعديها التاريخي والفني.

ولما كان الموضوع على هذا القدر من الأهمية والجدة، فهو مظنة الإفادة ومن هنا كان مبرر اجتهادي فيه، خاصة وأن الدراسات التي أقيمت حول الرواية السعودية الحديثة، ما

---

(1) كتاب النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية للدكتورمحمد عبد الرحمن شامخ الطبعة الثالثة / دار العلوم للطباعة والنشرم المقدمة

زالت قليلة في مادتها رغم كونها تعد من أخصب المجالات وأغناها في الأدب السعودي،

فيمكننا القول بصدق أنه إلى الآن لم توجد دراسة واحدة متخصصة في تاريخ الرواية السعودية المعاصرة يمكننا اقتفاء أثرها والسير بهديها في مجال بحثنا وإنما هي دراسات عامة متفرقة من هنا وهناك لا يمكن الاعتداد بها أو عليها لاتتعد كونها مجرد فصل موجز في كتاب، كما في كتاب "النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية" لمحمد عبدالرحمن الشامخ وكتاب "الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية" لبكري شيخ أمين.

إن دراسة الاتجاه الواقعي في الرواية السعودية ، إنما هي محاولة للبحث عن خصوصية هذه الرواية، في دلالتها على هوية القاص السعودي، التي يفترض أن تكون نابعة من طبيعة تشكل ذهنيته المستقلة، في انتمائها إلى واقع فكري وبيئي مستقل، فالدراسة معنية برصد مواقف القاصين السعوديين من الواقع المعايش بكل ما يصطرع فيه من قضايا ومشكلات وتحولات اجتماعية وفكرية، إلى جانب رصد مواقفهم من الأسس الجمالية، والفنية لكتابة الرواية في ظل الاتجاه الواقعي، ومن هنا قامت الدراسة على جانبين هما:

الأول تاريخي يتتبع تطور مفهوم الواقعية لدى كتابنا على مراحل ثلاث: واضحة تسجيلية تقليدية، واقعية ممتزجة ببعض الملامح الرومانيسة، واقعية ناضجة.

والجانب الثاني لهذه الدراسة جانب فني جمالي معني بفحص الأدوات التعبيرية، لدى قاصينا، المختلفة في اقترابها وابتعادها من المعيار الفني لكتابة القصة الواقعية القصيرة باختلاف الوعي له - المعيار الفني - من قاص لآخر. وقد

كانت الدراسة الفنية في فصول ثلاثة تناولت الشخصية والحدث واللغة، دون إغفال للعناصر الأخرى عن هيئة وحبكة وأسلوب. قد واجهت الدراسة الكثير من الصعوبات، لعل من أظهرها كثرة روافد البحث وتشعبها، إلى جانب قلة المراجع والمصادر، مع ضرورة الرجوع إلى الكثير من الصحف والمجلات .

أبواب البحث

الباب الأول: نشأة الرواية السعودية وتطورها تاريخياً ونقدياً

الباب الثاني: عومل ظهور الرواية السعودية

الباب الثالث: مراحل تطور الادب السعودي

الباب الرابع: بدايات الرواية السعودية

الباب الخامس: الرواية النسائية وشرط الوجود التاريخي

الباب الأول

نشأة الرواية السعودية وتطورها تاريخياً ونقدياً

يرى عدداً من الباحثين في الحركة الأدبية [2]"أن بدايتها الفعلية كانت مع بدايات العهد السعودي في الحجاز (من ١٣٤٤ هـ إلى ١٣٦٥ هـ) إذ تمثل هذه الفترة الولادة الحقيقة للأدب الحديث في بلادنا لما واكب ذلك العهد من انفتاح

(2) القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية خلال القرن العشرين مدخل تاريخي/ د.حسن بن حجاب الحازمي: أستاذ النقد الأدبي الحديث المساعد بجامعة جيزان ص2

تدريجي على العالم الخارجي، ووضع الأسس لنهضة فكرية وعمرانية شاملة، ونشر للتعليم، وتشجيع للصحافة وفتح مساحات أوسع لحرية التعبير.

أما في أواخر العهد العثماني، وطيلة العهد الهاشمي فقد كانت البلاد تعيش فيما أصطلح عليه بمصطلح عصور الضعف، ولم يحتل الأدب مكانة تذكر في صحافة هذين العهدين، فخلال العهد التركي كان الأدب غريباً أعجمياً، وخلال العهد الهاشمي كان الأدب مشغولاً بالسياسة .

لقد وجد أدباؤنا أنفسهم بعيدين بمسافات عن أقرانهم في البلاد العربية المجاورة، خصوصاً مصر والشام، ووجدوا هذا العهد السعودي الجديد يفتح أمامهم الأبواب المغلقة، ويتيح لهم حرية لطالما حلموا بها خلال العهود السابقة، ويشجع الصحافة، وينشرالتعليم؛ فبدأوا بأخذ زمام المبادرة وهم يتنادون باسم الأدب، ويحمس بعضهم بعضاً، فملؤا الصحف بكتاباتهم الأدبية، وسعوا إلى التأريخ لهذا الأدب رغم ضآلة محتواه وقصر امتداده الزمني، وتسابقوا في عرض نتاجهم على بعض أساطين الأدب في مصر والشام ليحصلوا على اعتراف به، وهكذا فتح العهد السعودي الجديد مساحات واسعة أمام الأدباء"

تعمق الروائي والناقد السعودي د. سلطان سعد القحطاني (3) بدراسة الرواية العربية في السعودية، عند تحليل الرؤى الفكرية والفنية، وإضاءة الموضوعات والمعاني والمدلولات والخصائص الثقافية والأدلجة والقضايا للوجود العربي.

(3) سلطان سعد القحطاني: الرواية في المملكة العربية السعودية.نشأتها وتطورها دراسة تاريخية نقدية، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناءالنشر والرياضص 78

ونشر القحطاني كتابه « الرواية في المملكة العربية السعودية، نشأتها وتطورها" دراسة تاريخية نقدية لتاريخ أو نمو وتطور الرواية السعودية بداية من القرن العشرين ، وأشار في المقدمة إلى ظهور الرواية في السعودية منذ عام (1930)، وكان أول عمل ظهر على يد الدكتور عبد القدوس الأنصاري، وقد أصدر الباحثون والنقاد دراسات الروايات منذ سبعينيات القرن العشرين، وأولهم د. محمد عبد الرحمن الشامخ، الذي أصدر عام 1975 دراسة بعنوان « النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية -وقد نوهنا عنها قبل ذلك-.

فن الرواية يتناول أوضاع القصة في السعودية وتوطيد الرواية ودور الصحافة في ظهور الرواية والدور الفعال الذي قام به الرواد في التعريف

بالرواية من خلال المقالات بوصفها فنّا جديدا ظهر لأول مرة في الأدب السعودي بصفة خاصة،

وتبادلوا فيها خوف المثقفين ثقافة عربية من خطر الرواية على ديوان الشعر العربي، وعلاقة الصحافة بالتعليم في بداية النهضة وحاجتها الى المثقفين فيما يخصّ آراء النقاد والدارسين حول الرواية، والبناء الروائي الحديث، ومسايرة الخطاب الروائي بصدق التصور والتآلف الزمني للأحداث. وبداً جليا للدارسين، حسب تحليل القحطاني، مدى ما وصلت اليه الرواية السعودية في سبعينيات القرن العشرين وثمانينياته، من تطور البناء والصياغة الفنية في كثير من الأعمال الروائية الصادرة في هذين العقدين، إذ أثبتت بعض الروايات وجودها وفرضت حضورها على الساحة الأدبية على يد بعض الكتّاب الذين مارسوا تجاربهم بصدق، ودربوا مواهبهم بالقراءة ومتابعة الجديد من الفنون المحلية والعالمية،

مثـــل: هـــدى الرشـــيد، وعبـــد العزيـــز مشـــري، وأمـــل شـــطا، وحمـــزة بوقري.

البــــاب الثاني

عومل ظهور الرواية السعودية

كـــان هنـــاك عـــددا مـــن العوامـــل التـــي ســـاعدت علـــى ظهـــور الروايـــة، مثـــل: التعلـــيم، والطباعـــة، والصـــحافة، وظهـــور طائفـــة مـــن المثقفـــين الســـعوديين، وتلـــك هـــي مؤسســـات التعلـــيم والثقافـــة الســـعودية الرئيســـة، ومنشـــأ الأدب الســـعودي بمـــا فيـــه الروايـــة، وأيـــا كـــان الأمـــر فـــإن تطورهـــا يعّـــد عـــاملا هامـــا مـــن عوامـــل تطـــور الجامعـــات كصـــرح مـــن صـــروح انتشـــار التعلـــيم فـــي الســـعودية، حيـــث شـــاركت مشـــاركة فعالـــة بتبنـــي نمـــو هـــذا النـــوع فـــي المملكـــة، شـــريطة المحافظـــة علـــى التقاليـــد والبيئـــة معـــا، وتوجيـــه الكتـــاب والقـــراء الـــى الطـــرق الأمثـــل والأحـــدث فـــي اختيـــار المواضـــيع ومعالجتها.

ظهـــرت الصـــحافة فـــي الســـعودية بصـــدور عشـــرات الصـــحف، وبـــدأت هـــذه المرحلـــة بصـــحيفة " صـــوت الحجـــاز " عـــام 2391، ثـــم تكـــاثرت الصـــحف المعنيـــة بالســـرد القصصـــي والروائـــي، فهـــي أحيانـــا، تنشـــر قصـــة قصـــيرة، أو روايـــة ذات حجـــم صـــغير فـــي بـــاديء الأمـــر، إمـــا مسلســـلة، أو فـــي طبعـــة خاصـــة. ثـــم تزايـــدت الطباعـــة والنشـــر للروايـــة، وصـــارت فنـــا محكمـــا لـــه أصـــوله الثابتـــة، يحتـــل مكانـــا مهمـــا، وعنصـــرا فعـــالا فـــي الأدب الســـعودي بعد أن كان فنا يستحي من نفسه.

واجـــه الـــرواد الســـعوديين فـــي مجـــال الروايـــة صـــعوبات جمـــة، حـــين قـــاموا بهـــذه المغـــامرة الصـــعبة، كمـــا تعرضـــوا لعقبـــات عديـــدة، منهـــا، عـــدم وجـــود الطباعـــة والنشـــر داخـــل المملكـــة العربيـــة الســـعودية فظهـــرت بعـــض الأ'مـــال علـــى اســـتحياء، وهـــذه الأعمـــال جميعهـــا لا تتعـــدى كونهـــا قصصـــا طويلـــة، وبعضـــها حكايـــات يغلـــب عليهـــا الأســـلوب الإنشـــائي تعبيـــرا عـــن أفكـــار كاتبيها، ولكنها أثرت الساحة الأدبية بما لا يقبل الجدل.

إن الســـعوديين مـــن أكثـــر النـــاس اطلاعـــا فـــي الوقـــت الحاضـــر حسب الموقع الجغرافي والتطور العلمي والعلاقات الدولية،

وكانـــت حركـــة الترجمـــة كنـــوع مـــن الإبـــداع وإعـــادة صـــياغة، مســـاعداً فعـــالاً فـــي دعـــم الروايـــة الســـعودية فـــي بـــداياتها ولـــم يجـــد الناقـــد مـــن المتـــرجمين الســـعوديين مـــن اســـتطاع أن يتـــرجم ترجمـــة فنيـــة إبداعيـــة إلا اثنـــين: حمـــزة بـــوقري، وعزيـــز ضـــياء. فقـــد أجـــاد كـــل منهمـــا اللغـــة والإبـــداع ، فترجمـــة الأدب تحتـــاج الـــى موهبـــة الإبـــداع الفنـــي، وعلـــى كثـــرة مـــا اطلـــع عليـــه مـــن الترجمـــات فـــإن القليـــل منهـــا صـــيغ صـــياغة أدبيـــة اتفقـــت ومضـــمون الـــنص الأصـــلي، وبعبـــارة أخـــرى إعـــادة الإبـــداع بإبـــداع مثلـــه. كمـــا أن بعـــض هـــؤلاء إزاء التـــأثير والتـــأثر. كـــان يفـــرض آراءه علـــى الشخصـــيات، ويثقلهـــا بمـــا لا تطيـــق فـــي ســـبيل أن يحمـــل أفكـــاره على كاهلها بأسلوب إخباري.

وقـــد تـــأثر بعـــض الكتـــاب بالكتابـــات الحداثيـــة التـــي لا تنطبـــق علـــى المجتمـــع العربـــي، لا فـــي ثقافتـــه، ولا لغتـــه، ولا دينـــه، فمـــا هـــي إلا تقليـــد أعمـــى مصـــيره الـــى الضـــياع، فـــي غيـــاب النقـــد الموضـــوعي الجـــاد المحايـــد، الـــذي يتعامـــل فيـــه الناقـــد مـــع الـــنص بصـــرف النظـــر

عـــن كاتبـــه، ومذهبـــه الأدبـــي، ويفتـــرض أن تصـــل الروايـــة فيهـــا الـــى مجـــدها، فاســـتعجال النشـــر، وعـــدم الإلمـــام بـــالتراث الأدبـــي، والفكـــري والحضـــور الاجتمـــاعي، وعـــدم أهليـــة الناقـــد، مـــن العوامل التي أنتجت هذه الأعمال وما شاكلها.

البـــاب الثالث

مراحل تطورالرواية السعودية

إلا أنـــه وبمـــرو الوقـــت، دخلـــت الروايـــة الســـعودية مجـــال الروايـــة " الفنيـــة " العربيـــة، وأخـــذ كتـــاب هـــذه المرحلـــة يتـــأثرون عربيـــا ودوليـــا بالأســـس الفنيـــة للروايـــة، رغـــم اعتمـــادهم فـــي طباعتهـــا علـــى دور النشـــر فـــي القـــاهرة وبيـــروت وتـــونس إلا أن غالبيـــة هـــذه الروايـــات " لـــم تقـــدم تطـــورا فـــي مجـــال الروايـــة فـــي المملكـــة العربيـــة الســـعودية، بمـــا فـــي ذلـــك الأعمـــال التـــي حاولـــت الاقتـــراب ولـــو مـــن بعيـــد مـــن الواقـــع الســـعودي بـــدت وكأنهـــا تطفـــلاً علـــى الأدب الســـــعودي بصـــــفة عامـــــة، الـــــى الآن " ، أي أن هـــــذه الروايـــات تتقـــرب مـــن الأســـباب السياســـية والاجتماعيـــة العربيـــة على وجه الخصوص.

وفـــي ظـــل الكثيـــر مـــن المتغيـــرات الاجتماعيـــة والاقتصـــادية، التـــي صـــاحبها الكثيـــر مـــن التغيـــرات الفكريـــة والإبداعيـــة لـــدى طبقـــات المجتمـــع الســـعودي، ســـواء فـــي طريقـــة التفكيـــر أو فـــي التعامـــل مـــع هـــذه المتغيـــرات، ومـــا يكتنفهـــا مـــن أشـــياء أخـــرى ظهـــر جيـــل مـــن الكتـــاب بـــدأوا حيـــاتهم الإبداعيـــة بمعالجـــة مشـــكلات وطـــنهم مـــن خـــلال الفـــن الســـردي بصـــفة عامـــة، والروائـــي منـــه بصـــفة خاصـــة،

وقد كان البعض مقلدا في البداية، إلا أنه ما لبث أن كوّن أسلوبه وشخصيته الأدبية شكلا ومعنى، وصار له أسلوبه المتميز.

فبدأت تظهر روايات تتعلق بمعالجة قضايا ومشكلات الريف السعودي، وخاصة ريف المنطقة الجنوبية، بأسلوب فني، وبناء روائي جيد يتضمنه هذا النوع من الأدب وظهر "المشري" كأول كاتب يسجل ما يحدث لحياة القرية السعودية في ظل المتغيرات الاجتماعية. والتطور البشري الناتج عن الإفرازات الثقافية. متكئا على معظم ذكرياته كطفل نشأ في هذه البيئة. وشهد التحولات المتعددة.

تطور الأديب والكاتب السعودي بتطور الزمن وتفاعله معه ، فتعمق في رؤى الروايات ومدلولاتها، مما ساعد في ظهور رواية سعودية واعدة، في سردها من رومانسية وواقعية، نتيجة لقراءاتهم وتأثرهم بالآخرين تأثرا ثقافيا ، فبدا القاص السعودي أكثر واقعيةً وألتحاماً مع مجتمعه.

كما يرصد المتابع للحراك الروائي السعودي الحديث جرأة لدى بعض الأقلام النسائية في تناول ثيمة الجسد ، فظهرت المرأة ككاتبة روائية تعرض قصصاً تعالج شؤون المرأة عن قرب وواقعية بعضها حقق نضجا والبعض الآخر لم يتعد كونه تجارب بدائية تميزت فيها على سبيل المثال "ليلى الجهني" في روايتها الفردوس اليباب ، حيث بدا فيها تعمقها الذكي والرائع بهموم مجتمعها من ازدواجية معايير تؤدي في صراع طويل عبر شواطيء جده طبيعتها الجغرافيا التي بدت كبطل من أبطال الرواية في تسلسل واقعي عن إمكانيات فنية وأدبية هائلة لدى الكاتبة.

فبدا تناولها في واقعية شديدة العناية بالخصائص الثقافية من الأصول وتطوراتها، الى الحداثة من استخلاص شخصية حقيقية واقعية للبطلة التي تصارع عادات اجتماعية لا تثق بعدالتها.

بدأت الرواية النسائية السعودية تتسع وتأخذ مكانتها على الخارطة الروائية وإن لوحظ على بعضها التعرض لبعض القيم والثوابت والاشتغال على النيل من الرجل .

إلا أننا لا يمكن أن ننكر ما نلاحظه من ثراء المشهد الروائي وتنوعه وتفاوت مستوياته الفنية وعمق تجربة كتَّابه وكاتباته، ومحاولة البعض القفز على فنيات السرد باجتراح مضامين فضائحية صادقة .

ذكر الدكتور حسن النعمي في مقالة بعنوان [4] "مراحل تطور الرواية السعودية" بدا لي وأنا أتأمل ظاهرة التجربة الروائية في السعودية أن أتساءل ما إذا كانت التجارب الروائية تقاس بمعيار التقادم الزمني الصرف، أم بعمق التحولات المصاحبة لتشكلها؟

[4] مراحل تطور الرواية السعودية د.حسن نعمي .
http://www.shatharat.net/vb/showthread.php?t=9360

ولعل هذا التساؤل نابع من طرافة التجربة الروائية المحلية. فبعد أكثر من سبعين عاماً من التراكم الروائي نستطيع أن نقول إننا أمام إيقاعين روائيين يحددان معالم التجربة الروائية. فالظهور الأول لرواية التوأمان لعبد القدوس الأنصاري في عام 1930 بدا باهتاً ليس من الناحية الفنية فحسب، فذلك منسجم مع طبيعة ولادة الأشياء، بل إن ضعف الرؤية وهشاشتها هو ما يمكن أن نجده في الحقبة الأولى من تاريخ الرواية المحلية .مرت الرواية السعودية بمراحل مختلفة في تطورها، وهي مراحل يمكن أن توفر قدراً من الفهم لطبيعة التطور الفني المنجز في كل مرحلة، غير أن دراسة من هذا النوع – رغم أهميتها - ستنظر للرواية من خلال تطور السياق الفني لكل مرحلة روائية دون تركيز يذكر على الخطابات التي شكلت تجربتها أو محاولة تفسير غيابها أو حضورها من مرحلة إلى أخرى."

إن الاعتقاد بأن الرواية تصور المجتمع هو اعتقاد، رغم مجافاته للحقيقة الفنية، منتشر وراسخ لدى كثير من قراء الرواية. ورغم ما قد يسببه هذا الوعي من تشويه لدور الرواية الاجتماعي، فإن ذلك يشير إلى ضرورة تأمل تاريخ الرواية من خلال التحولات الاجتماعية.

ويشاء قدر الأدب في المملكة عامة، والرواية خاصة أن تنطلق من ثنايا تحول سياسي واجتماعي على أعلى مستوى؛ فالتحول السياسي هو تكوين الدولة السعودية في الثلاثينيات من القرن العشرين، أما الاجتماعي، فهو فكرة الوحدة الوطنية وتطبيقاتها والسعي إلى الاندماج الاجتماعي في سياق سياسي واحد. أين يقف الأدب من هذا المنطلق؟

لقد عبر الجيل الأول من الأدباء في المملكة عن نزعة المواكبة لمنطلقات الدولة الجديدة. فجاء شعرهم يحمل روح التجديد أو الدعوة له على أقل تقدير بوصفه مظهراً من مظاهر الحياة الجديدة، وفاصلة عن مرحلة، بل مراحل سابقة ليس في زمنيتها فحسب، بل في طبيعة تكوينها. فمن مجتمع شتات، إلى مجتمع وحدة، ومن مجتمع منكفئ على نفسه، إلى مجتمع ذي هوية سياسية موحدة ومنطلقة نحو المدنية السياسية والاجتماعية.

إن قراءة الرواية السعودية قراءة سياقية تقتضي النظر للمكونات الخارجية التي شكلت الخطاب الروائي. فالرواية من الأعمال التي تتغذى في وجودها من تسارع إيقاع المجتمع من حيث التحولات الكبرى التي تقع في محيطه أو تصب في أعماق كيانه. كما تتغذى الرواية على ما يقدمه المجتمع من هامش للروائي في خلق أجوائه الروائية. وهذا لا يعني أن الروائي يجب أن يحجم عن المغامرة في سعيه عن كشف المسكوت عنه في الخطاب الاجتماعي المعلن. غير أننا لا نتكلم عن الروائي بعينه، إنما نتكلم عن مسيرة تراكم التجربة الروائية بوصفها جنساً أدبياً ينظر للواقع بعينين؛ عين تلتقط وتشكل عالمها من خلال تقاطعها مع وقائع الحياة، وعين تراقب ردة الفعل تجاه جرأتها وقدرتها على كشف المسكوت عنه. وبقدر القدرة على الالتقاط والتقاطع، والقدرة على خلق هامش تتحرك في فضائه يمكن للرواية أن تشكل خطاباً يسعى إلى التنوير.
إننا نرى أن أقرب وصف لتجربة الرواية في ضوء السياقات الخارجية هو ما يمكن أن نصطلح عليه بالإيقاع. ومن هذا المنطلق فإن النظر للرواية السعودية على امتداد تاريخها لا تخرج عن كونها تجربة إيقاعين لا ثالث لهما، أحدهما بطيء والآخر متسارع، فما دلالة هذا التغاير؟ لمقاربة مفهوم الإيقاع ومعرفة حصيلة تفاعله مع حركة الواقع يجدر بنا أن نقرأ خارطة الرواية من منظور التحولات الكبرى وعلاقتها

بطبيعة المجتمع المحافظ. ولعل قراءة من هذا النوع تشكل مدخلاً مهماً يمكن أن نقيس عليه تطورات التجربة الروائية منذ صدور رواية التوأمان في عام 1930 وحتى الوقت الراهن.

ويتحدد مفهوم الإيقاع بحجم الحضور الروائي وتراكمه من ناحية، وقدرته على تحقيق فاعلية اجتماعية في تفكيك خطابات المجتمع. وهذا التحديد يخضع لشرط العوامل الخارجية وما تحدثه من تحولات في الوعي العام سواء تحت إلحاح الضرورة، أو موافقة أو استجابة لمطلب اجتماعي داخلي.

يبدو لزاماً في البدء أن نضع محدداً أولياً لرصد مفهوم الإيقاعين في سياق تجربة الرواية. الإيقاع الأول، بطيء، يبدأ منذ صدور رواية التوأمان في عام 1930 وحتى عام 1980. ولعل أبرز ملامح هذا الامتداد الزمني من تاريخ الرواية هو قلة الإنتاج مع ضعف البنية الفنية وعدم القدرة على تقديم موضوعات تكسر تقليدية ورتابة الطرح الروائي. أما الإيقاع المتسارع فيبدأ منذ 1980 وحتى الوقت الراهن (2008م). وهو إيقاع يرصد زيادة التراكم الروائي بشكل ملحوظ في فترة زمنية قصيرة مقارنة بالفترة السابقة، بالإضافة إلى تطور التجربة الروائية وجرأة الطرح الروائي. وهذا التحديد لا علاقة له بترتيب الأجيال، بقدر ما له علاقة بالسياقات المحيطة بالتجربة الروائية ذاتها. فالجيل أو الإنتاج الروائي هو في الأصل إفراز للتفاعلات الاجتماعية سواء كانت تفاعلات خارجية أو داخلية.

لعل مقاربة الإيقاع مع التحول الزمني مهم على مستوى فهم العلاقة بين الرواية ومجتمعها، وإدراك مدى تأثير التطور الاجتماعي على تطور الرواية ليس على المستوى الفني

فحسب، بل على مستوى الرؤية وتمثيل المضامين ذات الطبيعة الجدلية اجتماعياً.

فالمضامين والرؤى التي تطرحها الرواية تأتي في مقابل التحولات الخارجية التي تحيط بالرواية. فقد لا نجد صدى مباشراً لحرب الخليج الثانية أو أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م، لكن تأثيرهما على مسيرة الرواية جد عميق.

وفي هذا السياق يشتد المد والجزر بين الرواية التي تبحث عن إنجاز الممكن وبين الثقافة الاجتماعية المحافظة التي تسعى لتمكين الكائن والمستقر الاجتماعي من خلال المحافظة على أبنيته ومركزيته بعيداً عن النقد أو المساءلة أو حتى الإشارة إلى إعادة صياغة مشروع التنمية الاجتماعية. فالثقافة المحافظة تنظر للآداب عادة نظرة غير متصالحة، نظرة تحسب مكاسبها من توظيفها للآداب، من حيث تطويعها لأنساقها وخطاباتها. ولذلك تضع الثقافة المحافظة محدداتها واشتراطاتها في علاقتها بالآداب مسبقاً. وما يمكن أن ينتج من الآداب في ظل الثقافة المحافظة لا يخرج عن نوعين؛ نوع منقاد لاشتراطات الثقافة، مستظلاً بهيمنتها حتى يغدو تابعاً من توابعها، بل ولسان حالها، وإما أن يكون مشاكساً، ومتحدياً، وكاشفاً لأدواتها وأنساق الهيمنة في خطاباتها، لكنه في هذه الحالة يحمل رسالة أقرب للصراخ منها للفن الذي يصنع البدائل الخلاقة للحياة، هدفه في هذه الحالة ثوري إيديولوجي غير مستبطن لمشكلات الثقافة المحافظة التي لا تؤمن بالتعدد ولا خلق مساحة قابلة للتحاور.

ويبدو الانقياد لاشتراطات الثقافة المحافظة قسرياً أحياناً. فقد ذكر أحمد السباعي في كتابه أيامي ما نصه: "وكنت أحد المتحمسين لقضايانا الاجتماعية، أتمنى لو استطعت أن أفرغ كل ما يدور في رأسي من أفكار شابة، وأن أذيبها حروفاً

مقـــروءة فـــي مقـــالي الرئيســـي. ولكـــن البيئـــة لا تميـــل لمثـــل هـــذا الشـــطط، فقـــد عاشـــت محافظـــة بكـــل مـــا فـــي هـــذا مـــن معنـــى، وهـــي تـــأبى عليـــك إلا أن تعـــيش رزينـــاً، وأن تخنـــق فـــي نفســـك صـــبوة الشباب، لئلا تزحف على ما ألفت أو تهاجم ما ورثت"

ومـــن هنـــا وجـــدت الروايـــة نفســـها إمـــا أن تهـــادن، أو تشـــق طريقهـــا فـــي البحـــث عـــن الممكـــن، مـــرة ناقـــدة، ومـــرة كاشـــفة، ومـــرة محرضـــــــــــة، وهكـــــــــــذا. ومـــــــــــن خـــــــــــلال اســـتعراض مراحـــل تطـــور الروايـــة نجـــد أن الروايـــة ظلـــت مهادنـــة فـــي مجمـــل حقبهـــا باســـتثناء روايـــات التســـعينات الميلاديـــة ومـــا بعـــدها، حيـــث لعبـــت دوراً معاكســـاً للثقافـــة الاجتماعيـــة المحافظـــة، مـــن خـــلال البحـــث الـــدائم فـــي المســـكوت عنـــه فـــي الخطـــاب الثقـــافي المحافظ.

غيـــر أنـــه يمكـــن رصـــد طبيعـــة الموضـــوعات التـــي اقتربـــت منهـــا الروايـــة مـــؤخراً، بـــل يمكـــن أيضـــاً قيـــاس الجـــرأة الاســـتثنائية لـــبعض الأعمـــال فـــي تنـــاول موضـــوعات مناهضـــة للثقافـــة الســـائدة. ورغـــم أن هـــذه المراحـــل هـــي إطـــار تـــاريخي مـــألوف فـــي كثيـــر مـــن التجـــارب الروائيـــة، فإنهـــا تظـــل لازمـــة مرجعيـــة مهمـــة تـــوفر بـــدورها نظـــرة شـــمولية تحقـــق عمقـــاً أكبـــر حيـــث تـــربط بـــين القـــيم الفنيـــة والقـــيم الموضـــوعية فـــي تطـــور الروايـــة.

البـــاب الرابع

بدايات الرواية السعودية

وكـأي بدايـة فقـد جـاءت روايـة (التوأمـان) ضـعيفة مـن حيـث مسـتواها الفنـي، ومحافظـة فـي رؤيتهـا، حيـث كـان موضـوعها الأساسـي يعـالج مشـكلة العلاقـة الحضـارية بـين الشـرق والغـرب. ورغـم أهميـة الموضـوع، فـإن الصـراع قـد حسـم فيـه لبيـان عظمـة الشـرق وفسـاد الغـرب دون مراعـاة لنمـو الشخصـيات وفقـاً لأصـول الفـن الروائـي. أبطـال الروايـة (رشـيد وفريـد) توأمـان عاشـا تجـربتين مختلفتـين، رشـيد الابـن الـذي تعلـم فـي المـدرس الوطنيـة كـان أكثـر التزامـاً ورقيـاً علميـاً وإنسـانياً، بينمـا أخـو رشـيد (فريـد) الـذي فضـل أن يـتعلم فـي المعاهـد الأجنبيـة، خسـر حياتـه لأن هـذه المعاهـد دفعتـه للفسـاد حتـى ذابـت شخصـيته وخسـر نفسـه ودينـه ومجتمعـه. وكمـا ذكـر "محمـد عبـدالله المزينـي" فـي مقالـه فـي الجزيـرة الثقافيـة بعنـوان "الروايـة السـعودية تاريخهـا وتطورهـا"[5]أن هـذه الروايـة قـد تناولـت الصـراع بـين بطليهـا التـوأمين المختلفـين فـي رؤيتهمـا للحيـاة وفـق تعليمهمـا وثقافتهمـا، فأفسـد الروايـة سـذاجة الطـرح الـذي كشـفته عقـدتها المتمثلـة فـي انتصـار رشـيد بتقليديتـه وفشـل فريـد المـتعلم فـي معاهـد أجنبيـة."

---

[5] الرواية السعودية تاريخها وتطورها
http://www.al-jazirah.com/2011/20110825/cu14.htm

وهـــذه رؤيـــة مســـبقة ومتحيـــزة لـــم يتـــرك الكاتـــب فيهـــا للقـــارئ فرصـــــة التأويـــــل والاســـــتنتاج، فجـــــاءت الروايـــــة فقيـــــرة فـــــي مضمونها ضعيفة في بنيتها.

بينمـــا تعكـــس بموضـــوع واقعيـــة مـــا يعيشـــه شـــبابنا مـــن صـــراع داخلـــي بـــين الشـــرق والغـــرب يـــرجح فيـــه الشـــاب عـــادة كفـــة الغـــرب علـــى عكـــس مـــا ورد فـــي الروايـــة فينســـاق بشـــدة بـــل ينجـــرف بعنـــف نحـــــوه مبهـــــورا بثقافتـــــه وحضـــــارته تطـــــوره حتـــــى وإن كـــــان مايدركـــه عـــن تلـــك الحضـــارة لا يتعـــد كونـــه قشـــوراً لا قيمـــة لهـــا إلا طمس الهوية العربية والقومية .

إلـــى جانـــب روايـــة التوأمـــان ظهـــرت مجموعـــة روايـــات تتســـق مـــع الخـــــط الـــــذي ســـــلكته روايـــــة التوأمـــــان مـــــن حيـــــث نزعتهـــــا الإصـــــلاحية الاجتماعيـــــة مـــــع فـــــروق فـــــي درجـــــات الـــــوعي الروائي.

حيـــث تلتهـــا روايـــة [6] (فكـــرة، الصـــادرة عـــام 1948م) لأحمـــد الســـباعي، واختلفـــت هـــذه الروايـــة عـــن ســـابقتها بانفتاحهـــا علـــى التغييـــر فـــي البنـــاء الاجتمـــاعي؛ فبطلتهـــا فكـــرة تطمـــح للتغييـــر وتجـــاوز الواقـــع، وتعـــد هـــذه الروايـــة الأولـــى مـــن حيـــث تنـــاول همـــوم الفتـــاة وتطلعاتهـــا المســـتقبلية فـــي وقـــت لـــم يكـــن ينظـــر لهـــا بعين الاعتبار ككائن مستقل يطمح إلى أبعد من الواقع.

وتـــــأتي روايـــــة (البعـــــث، 1948م) لمحمـــــد علـــــي مغربـــــي بوصـــفها الروايـــة الثانيـــة التـــي بـــدت أكثـــر تعبيـــراً عـــن التطلعـــات الاجتماعيـــة الحديثـــة. وهـــي تطـــرح إشـــكالية العلاقـــة الحضـــارية

---

(6) الرواية السعودية تاريخها وتطورها محمد عبد الله المزيني
http://www.al-jazirah.com/2011/20110825/cu14.htm

مـــع الآخـــر مـــن خـــلال أســـامه الزاهـــر الـــذي اضـــطره مرضـــه لأن يبحـــث عـــن العـــلاج فـــي خـــارج الـــبلاد. وهـــي بنـــاء مجـــازي لفكـــرة الاستفادة من الآخر. فأثناء غيابه يكتشف ما ينقص

أمـــا روايـــة [7] (ثمـــن التضـــحية) لحامـــد دمنهـــوري التـــي صـــدرت فـــي عـــام 1959م، فقـــد شـــكلت قفـــزة فنيـــة وبدايـــة واعـــدة للتطـــور الفنـــي فـــي صـــناعة الروايـــة. فقـــد بـــدت أكثـــر الروايـــات اســـتعداداً لتقـــديم رؤيـــة جريئـــة مفارقـــة للواقـــع. وهـــو روايـــة ترصـــد ملامـــح التغيـــر الاجتمـــاعي فـــي مكـــة فـــي مرحلـــة الأربعينيـــات الميلاديـــة مـــن خـــلال نمـــو الشخصـــية الرئيســـية أحمـــد منـــذ طفولتـــه وحتـــى ذهابه إلى القاهرة لمواصلة دراسته.

وللاقتـــــراب أكثـــــر مـــــن روايـــــة ثمـــــن التضـــــحية نـــــرى أن حبكـــة الروايـــة تـــدور حـــول أحمـــد الشخصـــية الرئيســـية فـــي الروايـــة وعلاقتـــه بابنـــة عمـــه فاطمـــة الأميـــة التـــي أحبهـــا منـــذ صـــغره. وعنـــدما أنهـــى دراســـة الثانويـــة، عقـــد قرانـــه عليهـــا علـــى أن يـــتم الـــزواج بعـــد عودتـــه مـــن دراســـته فـــي مصـــر. وهنـــاك فـــي مصـــر يتعـــرف علـــى فـــائزة الوجـــه الآخـــر لفاطمـــة، لكنهـــا متعلمـــة ومثقفـــة، وهـــو الشـــيء الـــذي تفتقـــر إليـــه فاطمـــة. يناضـــل مـــن أجـــل كـــبح جمـــاح عاطفتـــه التـــي انســـاقت وراء فـــائزة. ورغـــم أنـــه أحبهـــا لـــذاتها ولثقافتهـــا، فإنـــه يحســـم أمـــره وفـــاء لرباطـــه المقـــدس بفاطمـــة، مضـــحياً بقناعتـــه وإعجابـــه وحبـــه فـــي ســـبيل الوفـــاء بعهـــده. وبعـــد عودتـــه يجـــد فاطمـــة خيـــر ثمـــن لتضـــحيته، كتعبيـــر مـــن الروايـــة عـــن ثمن تمسكه بالتقليد الاجتماعي.

وكـــأن ضـــرورة التعـــايش مـــع الآخـــر أبعـــد مـــن مســـتواها المـــادي إلـــى إمكانيـــة الاســـتفادة مـــن التجـــارب الإنســـانية فـــي تصـــحيح أوضاع مجتمعه.

---

(7) المرجع السابق

وفي هذه المرحلة يصدر حامد دمنهوري روايته الثانية [8] ومرت الأيام، (1963م)، وإذا كانت قد حرصت الرواية على تقدم الملامح الاجتماعية في مكة وجدة من خلال سير الأحداث، فإنها كانت أقل فنياً، حيث جاءت متراجعة عن المستوى الفني الذي بشرت به رواية (ثمن التضحية)، في الوقت الذي كان القارئ ينتظر نضجاً فنياً أكبر في رواية "ومرت الأيام" يكاد عنوان الرواية يلخص سير الأحداث التي ترصد رحلة إسماعيل من مكة إلى جدة، ثم إلى الرياض، حيث تقابلها رحلة أخرى من الفقر إلى الثراء.

فإسماعيل الذي استفاد من فرص العمل مع شريكه اللبناني نبيل توفيق بعد أن ترك عمله

الحكومي، يكشف مجتمع الوافدين العرب الذين ساعدوا في بناء المجتمع في حقبة كان المجتمع في بداية نهضته التعليمية والاجتماعية.

ثم يظهر إبراهيم الناصر بمجموعة أعمال روائية، ثقوب في رداء الليل، (1961م) تطرح رواية ثقوب في رداء الليل أزمة العلاقة بين القرية والمدينة، وهو موضوع يطرح لأول مرة في الرواية السعودية منذ بداية ظهورها في عام 1930م. وإن كان سيصبح في رواية الثمانينات من أكثر الموضوعات حضوراً وخاصة في روايات عبد العزيز مشري. العلاقة بين القرية والمدينة يكمن في اختلاف القيم، من إنسانية النزعة إلى براغماتية نفعية. في رواية ثقوب في رداء الليل تضطر العائلة إلى العودة للقرية رغبة في استعادة قيمها التي بدت غريبة في عالم المدينة. وإذ تعود العائلة للقرية يُلمح إبراهيم

---

(8) مراحل تطور الرواية السعودية د.حسن نعمي http://www.shatharat.net/vb/showthread.php?t=9360

الناصر إلى فشل التعايش بين القيم الأصيلة وبين القيم المستحدثة في المدينة.

أما رواية "سفينة الموتى" فهي تقدم الوجه المؤلم للمدينة، حيث تدور الأحداث في المستشفى المركزي في الرياض في مرحلة الستينات. وقسوة العنوان تبرره أحداث الرواية التي تتصاعد منها رائحة الموت. وهي إجابة رمزية لتفسخ القيم في المدينة ولا إنسانيتها.
وتسجل فترة الستينات الميلادية أول حضور للرواية النسائية في المشهد الروائي السعودي. مما كان له تداعياته بالنسبة لمسيرة الرواية.

من هنا نرى أن قراءة الإنتاج الروائي النسائي في المملكة من خلال شرط التحول التاريخي ما يؤكد أن الرواية حركة في قلب التاريخي، وليس في خارجه. وما نحتاجه هنا هو فهم أرضية الحركة الاجتماعية الجاذبة أو الطاردة لعطاء المرأة في سياق تاريخ تطور الرواية السعودية.

البـــاب الخامس

الرواية النسائية وشرط الوجود التاريخي

يـــــــذهب دارســــــو الروايـــــــة إلـــــــى أن بدايـــــــة ظهـــور الروايـــة النســائية الســعودية كـــان فـــي أوائـــل الســتينات الميلاديـــة عنـــدما بـــدأت ســـميرة خاشـــقجي تصـــدر رواياتهـــا الأولـــى خــــارج المملكــــة. روايــــة "الرجــــل" عــــام 1930م. فقــــد جــــاء صــدور الروايــة الأولــى لســميرة خاشــقجي فــي حــين كانــت تجربــة التعلــيم النســائي النظــامي فــي المجتمــع الســعودي مــا تــزال فــي خطواتهــا الأولــى. ومعلــوم أن التــأثير لأي مســيرة تعلــيم يبــدأ مــع مخرجــات التعلــيم التــي تحتــاج إلــى قرابــة عشــرين عامــاً مــن بدايــة مســيرتها علــى أقــل تقــدير حتــى يمكــن أن تمــارس تــرف الكتابــة والنشــــر وتعــــاطي الأدب وتذوقــــه. ولا يجــــب أن يغيــــب عــــن تفكيرنـــا أن صـــدور الروايـــات الأولـــى كـــان خـــارج المملكـــة العربيـــة الســـعودية، فمـــا نـــود أن نصـــل إليـــه أن الروايـــات التـــي صـــدرت فـــي الســـتينات حتـــى مطلـــع الثمانيـــات ليســـت نتـــاج البيئـــة الاجتماعيـــة والتعليمـــة للمجتمـــع الســـعودي، بـــل نتـــاج تجـــارب نســائية فرديــة تنــورت تعليميــاً وثقافيــاً فــي بيئــة خــارج المجتمــع الســعودي. فــرغم نســبة الأعمــال إلــى هويــة كاتباتهــا، فهــي نســبة تتــــوخى الهويــــة الوطنيــــة، ولــــيس هويــــة التكــــوين الثقــــافي والاجتمــاعي للفــرد. فــإذا كــان الانتمــاء للهويــة الوطنيــة رســمي، لا يشـــترط المعايشـــة والتفاعـــل، بـــل يكتفـــى بتســـجيل الانتســـاب للهويــة مــع حريــة اختيــار مكــان الإقامــة داخــل أو خــارج الــوطن وفقاً لظروف الفرد ونمط معيشته وارتباطاته

ولمقاربــــة أكثــــر وضــــوحاً يمكــــن النظــــر فــــي روايــــات ســــميرة خاشـــقجي وهـــدى الرشـــيد وهنـــد باغفـــار الصـــادرة فـــي فتـــرة

الستينات والسبعينات الميلادية، فهي أعمال تقدم دلالة حية على هذا النمط من الكتابات التي استفادت من التربية الثقافية الخارجية في تقديم هذه الروايات ونسبتها إلى الرواية السعودية بحكم انتمائهن الوطني لا الثقافي. فهن وغيرهن من الكاتبات المتقدمات زمناً، من أمثال فوزية أبو خالد وشريفة الشملان، قد بذلن مجهوداً كبير في التعليم والتثقف في بيئات أخرى وفرت لهن ما لم يجدنه في بيئتهن الاجتماعية المحلية. فسميرة خاشقجي، على سبيل المثال، تربت تعليمياً وثقافياً وقيمياً خارج المجتمع السعودي، ومعظم رواياتها تدور في سياق غير المجتمع السعودي مثل رواية (ذكريات دامعة) أو رواية (بريق عينيك). وحتى الروايات، مثل (قطرات من الدموع)، التي كتبتها عن المجتمع السعودي تعد كتابة من الخارج، أفكارها مسبقة وحوادثها جاهزة لتجيب عن قلق الكاتبة، لا أن تعالج التكوينات الاجتماعية بواقعية شديدة الخصوصية والصلة بالمجتمع في حركته اليومية.

ولا تخرج رواية (البراءة المفقودة، 1972م) لهند باغفار، ورواية هدى الرشيد (غداً سيكون الخميس، 1977م)، وهما روايتان صادرتان في فترة السبعينات الميلادية، عن معالجة بعيدة عن أجواء البيئة السعودية، حيث تدور أحداث الروايتين في بيئتين خارجيتين.

وفي المقابل، نلحظ في الروايات النسائية السعودية التي صدرت في فترة التسعينيات الميلادية وما بعدها تغيراً جوهرياً، حيث نلحظ عمق المعالجات الروائية وقدرتها على إحداث صلة بالواقع اليومي، صلة نرى أنها نتاج حركة طبيعية لسياق ثقافي بدأ تشكله في أوائل الستينيات الميلادية، حيث وضع تنوير المرأة في الحسبان لأول مرة. ويمكن أن نستحضر في هذا السياق مجموعة من الروايات النسائية التي

تجيب على فرضية الرواية من داخل السياق الثقافي لا من خارجه. فالمتأمل في رواية ليلى الجهني (الفردوس اليباب، 1998م)، ورواية نورة الغامدي (وجهة البوصلة، 2002م)، ورواية (بنات الرياض، 2005م)، وهي الروايات الأولى لكل واحدة منهن، يلمس مدى أهمية التكوين الثقافي في توجيه مسار هذه الروايات، وجعلها ذات قيمة داخل سياقها الاجتماعي والثقافي. فهن وغيرهن كن نتاج تكون ثقافي عرفن أبعاده فدخلن في جدلية عميقة معه، ولم تعد هؤلاء الكاتبات وغيرهن متلقيات، بل أضحين منتجات للاختلاف. فحققت رواياتهن أعلى مقروئية ممكنة في سياق ثقافي واجتماعي آخذ في التغير.

فلا يمكن أن تكون الرواية إلا مخاض تجربة مجتمع يبني كاتبتها ويسلحها بقدر من الحريات العامة، مثل حرية التعليم. إن البداية المفترضة للرواية السعودية التي ولدتها تجربة تعليم الفتيات النظامي يمكن رصد ملامحها مع بدء صدور روايات كاتبات الثمانينيات من أمثال أمل شطا في روايتها (غداً أنسى، 1980م)، ورجاء عالم في روايتها (4 صفر، 1987م)، وبهية بوسبيت في روايتها (درة من الأحساء، 1987م)، وصفية عنبر في روايتها (وهج من بين رماد السنين، 1988م)، وصفية بغدادي في روايتها (ضياع والنور يبهر، 1987م). ورغم قلة المنتوج الروائي وضعفه الفني باستثناء نسبي لرواية 4/ صفر، فإننا نتحدث عن ثمرة التجربة النسائية مع التعليم والتحول النسبي للمجتمع نحو الأخذ بأسباب التمدن. إن هذه الحقبة تمثل رمزياً، بالنسبة للمرأة، اللحظة التي بدأت تحيك خطابها الروائي وتعلن بدء إسهامها الثقافي والإبداعي. غير أن تنامي الرواية النسائية وحضورها الفاعل تأخر إلى أواخر التسعينيات الميلادية مع الموجة الجديدة من الروايات التي وصلت إلى ذروتها في المقروئية بصدور رواية (بنات الرياض) في عام 2005،

حيث حققت أعلى مقروئية ليس بالنسبة للرواية النسائية فحسب، بل للرواية السعودية عموماً.

ويبدو حال الرواية في حقبة السبعينيات الميلادية مشابهاً في ضعف الإنتاج الروائي وقلته وعدم قدرته على تحقيق اختلاق نوعي وإحداث تأثير في سياق الحركة الثقافية فروايات هذه المرحلة على قلتها إلا أنها ركزت على قضايا المرأة في المجتمع السعودي من حيث إشكالية وجودها في مجتمع محافظ وضرورة حصولها على حقوقها الاجتماعية. وإذا كان هذا الأمر غير مستغرب بالنسبة للرواية التي كتبتها المرأة، فإن تركيز روايتي الناصر والجمعان على المرأة وتأكيد حقوقها ودورها في المجتمع، تعدان إشارة تنويرية لا بد من الاحتفاء بها. وأحسب أن هذه هي المرة الأولى التي يلتفت فيها روائي إلى تقديم قضية المرأة في عمله بهذا الاهتمام الكبير. وقد نستثني رواية أحمد السباعي (فكرة، 1947م)، التي قدمت المرأة مساوية للرجل في القدرة على الإسهام في بناء المجتمع، رغم أن حضور المرأة (فكرة في الرواية) كان حضوراً رمزياً فلسفياً لما يتحقق وجوده في الواقع الاجتماعي بعد.

ولذلك، فإن المرأة في رواية الناصر والجمعان واقعية الملامح تعاني من استبداد الرجل وتنشد الانتصار لحقوقها، والإسهام بوعيها في بناء المجتمع. فرواية القصاص تحتفي كثيراً بالمرأة المتعلمة، بل إنها تصبح سبباً في "في إيقاف الفتنة التي كادت تقع بسبب الأخذ بالثأر على الطريقة البدائية، واللجوء إلى الحكم القضائي حيث تنجح بعد أن هدأت النفوس بإقناع أهل الدم بالتنازل.

إن الالتفاتة الذكية في الرواية هي تأكيد أهمية التعليم عموماً، وتعليم المرأة خصوصاً_وما ينتج عنه من دور تنويري مهم.

ومع بدء الثمانينيات الميلادية، حيث تبدأ مسيرة التنمية الاقتصادية وما واكبها من طفرات اقتصادية واجتماعية. وتعد مرحلة الثمانينيات الميلادية هي مرحلة بداية انفتاح المجتمع وتحسن وضعه الاقتصادي وزيادة رقعة التعليم وتنوع قنواته وبداية مخرجاته التي أخذت تلامس حركة المجتمع. ونحن لا نشك في أن هناك عوامل خارجية كثيرة ساهمت في التحول من مجتمع محدود التجربة إلى مجتمع اتسعت تجاربه واحتكاكه بتجارب المجتمعات الأخرى. فتوافد آلاف العاملين من جنسيات مختلفة بغرض اقتصادي سواء في مجال الطب أو التعليم أو المهن والحرف المختلفة كان له مردود في خروج المجتمع من رتابة المشهد اليومي إلى آفاق أبعد عمقاً. بالإضافة إلى الخروج الكبير لشرائح اجتماعية إلى خارج الحدود لغرض الدراسة أو التجارة أو السياحة، وهو ما ترتب عليه من تفاعل للتجارب والقناعات واكتشافات معرفة وإنسانية عميق التأثير سلباً وإيجاباً في تكون المجتمع السعودي.

إن في بعض تجلياتها ما يُعد استثماراً أمثل للتجاذبات وحدة الحركة وتوترها، وهو ما شهده المجتمع في الثمانينيات من صراع بين قناعات الإبقاء على تقاليد الماضي القريب وبين الرغبة في المواكبة والاندماج مع المستجدات المعاصرة والاستفادة منها. مما جعل أحد أعمدة النشاط الروائي في حقبة الثمانينات عبد العزيز مشري من التقاط مفارقة التوتر بين نمطين من التقاليد. ورغم أن واقع الرواية السعودية في حقبة الثمانينيات لم يكن قد سجل الحضور اللافت الذي نشهده اليوم، فإنه يمكن اعتباره نقطة انطلاق نحو تسارع الإنتاج وتزايده لإحداث التراكم المطلوب لصناعة رواية تتعدد فيها الاتجاهات والنزعات وتتجدد فيها جدلية الصراع بين الفرد ومجتمعه.

ويسجل لهذه المرحلة والتي تليها بدء تسارع إيقاع الإنتاج الروائي وزيادة تراكمه، وتنوع موضوعاته وتطور تقنياته. فإذا كانت المرحلتين الأوليين (النشأة والتأسيس) قد ساهمتا في صياغة المشهد الروائي، فإنهما قد عجزتا عن تحقيق اختراق ملحوظ سواء في زيادة المنتج الروائي الذي ظل في خانة العشرات لأكثر من 50 عاماً أو في تحقيق حضور لافت للرواية مقارنة بالشعر في مسيرة الأدب السعودي. وإذا كانت الرواية السعودية في مرحلة الثمانينيات قد عبرت نفق التباطؤ، وتجاوزت هشاشة التجربة الفنية والفكرية، فإن ذلك لم يأت طفرة، بل اتسم بالتدرج في الحضور على أكثر من مستوى. ويمكن أن نعتبر روايات عبد العزيز مشري مرحلة انتقال من البطء في صناعة الفعل الروائي إلى إيقاع أكثر تسارعاً من ناحيتين؛ أولهما، التراكم الروائي الذي قدمه الكاتب، حيث قدم خمس روايات خلال عشر سنوات ثانياً، تقديمه لرؤية اتسمت بالبحث عن نقاء الإنسان في واقع متغير.

وقد تبدو رواياته للوهلة الأولى معادية للتمدن، غير أنها في حقيقة الأمر، تطرح سؤال الهوية. فقد رمز لانهيار القيم في رواياته بأزمة العلاقة بين القرية والمدينة من حيث استقطاب الإنسان خارج فضاء حضوره التقليدي. لم يكن حضور المشري طارئاً في فضاء الرواية فقد بدأ كاتباً للقصة القصيرة حتى عام 1986 عندما أصدر أولى رواياته (الوسمية). ورغم الحضور الكثيف للمشري فقد ظل وحيداً في فترة الثمانينات إلا إذا استثنينا مجموعة من مجموعة من الكتاب والكاتبات منهم، رجاء عالم ورواية 4 صفر ، عبد العزيز الصقعبي ورواية رائحة الفحم 1988، وحمزة بوقري ورواية سقيفة الصفا 1984، وهي أسماء حضرت بتجاربها الأولى، حيث لم تترك أثراً كبيراً في المشهد الروائي باستثناء رواية 4 / صفر التي فازت بجائزة ابن طفيل دلالة على

جودتها الفنية، رغم أنها الرواية الأولى للكاتبة. فقد كان المشري أكثر الكتاب حضوراً، وأكثرهم اهتماماً بموضوع محدد دارت حوله معظم رواياته، وهو موضوع العلاقة بين القرية والمدينة، وربما أكثرهم جودة فنية. لذا فهو يُعد كاتب هذه المرحلة بلا منازع عطفاً على ما تقدم.

غير أن التحول المؤثر في مسيرة الرواية السعودية يأتي في فترة التسعينيات الميلادية وبداية الألفية الثالثة، من حيث احتلالها للمشهد الأدبي، ومن حيث قدوم أسماء من خارج الكتابة السردية التقليدية للإسهام في كتابة الرواية مثل تركي الحمد الأكاديمي، وغازي القصيبي الشاعر، ومن حيث تعزز تجارب سردية بشكل أكبر حضوراً مثل روايات عبده خال، وبروز أسماء روائية شابة مثل يوسف المحيميد، ومحمد حسن علوان، وعبد الحفيظ الشمري، وعبد الله التعزي، إضافة إلى ذلك، حضور المرأة بصفتها الروائية، مثل رجاء عالم، ونوره الغامدي، وليلى الجهني، ومها الفيصل، ونداء أبو علي، ورجاء الصانع، وبدرية البشر، وأميمة الخميس، وغيرهن.

كل ذلك يطرح تساؤلاً حول طبيعة التحول. واضح أن التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية كانت عميقة الأثر في السياق الروائي إلى حد بعيد. ففي مطلع التسعينيات فوجئ العالم بغزو الكويت ووقوع المنطقة بأسرها في دوامة حرب الخليج التي ما زالت تداعياتها تتلاحق وتتجدد سياسياً وعسكرياً واقتصادياً حتى يومنا هذا؛ مما جعلها حرباً تفضي إلى حرب أخرى وربما إلى حروب أخرى. كما أن هناك حدثاً لا يقل أهمية وهو انفتاح المجتمع بشكل لافت منذ أوائل التسعينيات من خلال الفضائيات التلفزيونية والإنترنت. أما الحدث الأبلغ تأثيراً ليس على المجتمع السعودي فحسب، بل

على العالم العربي والإسلامي قاطبة فهو أحداث 11 سبتمبر في 2001 وما ترتب عليها من تبعات على العالم العربي.

ماذا يمكن أن يكون حال الرواية في واقع مضطرب ومتغير، هل يمكن عزل حضورها اللافت عما يجري، والقول بأنها طفرة فنية فقط؟ إن قولاً مثل هذا يصلح أن يكون مدرسياً صرفاً ينظر للظواهر بمعزل عن الحراك الاجتماعي. إن شرط التغير قد وقع، والرواية ليست إلا استجابة في بعض حضورها لهذه التغيرات القسرية. فإذا كانت الرواية تعمل في بيئة محافظة، فإنها تتمرد لا ملغية للمحافظة، بل مسائلة لضروراتها ومنطقية ممارستها. من هنا يعلو صوت الروائي ضاجاً بالشكوى ليس على سبيل الخطابية والحماس، بل على سبيل استبطان التجارب الفردية لشخوص أعماله وربطها بالكليات الاجتماعية في علاقة حتمية. فما معنى أن يترك الشاعر غازي القصيبي فضاءه الشعري متسللاً إلى خيمة الروائيين، مقدماً للمكتبة الروائية السعودية العديد من الروايات مثل شقة الحرية، والعصفورية، و7 وغيرها من الروايات التي إن لم تكن صادمة، فهي لم تكن تقليدية لا في موضوعاتها ولا في تقنياتها السردية. كما أن قدوم تركي الحمد وهو المفكر وصاحب الرأي والأكاديمي ليكتب رواية أشبة بالسيرة أو سيرة أشبه بالرواية. لا فرق لأن الغاية كانت لديه تحريك سكون المجتمع المحافظ. وقد فعل حتى غدت راوياته تمثل النموذج في كسر التابوهات الاجتماعية. فجاءت ثلاثيته (أطياف الأزقة المهجورة 1996- 1998) بأجزائها الثلاثة (العدامة، الشميسي، الكراديب) فاتحة في القول الروائي المحلي. فالعدامة جاءت كاشفة لحركة التنظيمات اليسارية في المملكة في فترة الستينيات، والشميسي تماهت مع الذات في صبواتها وتجرأت على تقديم العلاقة بين الرجل والمرأة بطريقة غير مألوفة في العرف الاجتماعي المعلن. أما ثالثة الأجزاء فكانت الكراديب وهو جزء يقدم تجربة البطل هشام

العـــــــابر خلـــــــــف قضـــــــــبان الســـــــــجن السياســـــــــي. هـــذان الاســـمان، القصـــيبي والحمـــد غيـــر الـــروائيين أصـــلاً، سـيبقيان طــويلاً فــي ذاكــرة المشــهد الروائــي، فهمــا اللــذان صــنعا إيقــاع الروايـــة المتســارع، وحرضــا جــيلاً مــن الكتــاب والكاتبــات علــى جــرأة غيــر معهــودة فــي الطــرح الروائــي. فــالروائي لــم يعــد يحــاذر مخــاطر الكتابــة، بقــدر مــا يســعى إلــى تقــديم رؤيتــه بعيــداً عـــــــن حســـــــــابات المجتمـــــــــع المحـــــــــافظ. ويشـــكل عبـــده خـــال فـــي هـــذه الحقبـــة اســـماً لامعـــاً فـــي كتابـــة الروايـــة المختلفـــة ذات النكهـــة الشـــعبية والأســـطورية وخاصـــة فـــي روايتـــه الأولـــى (المـــوت يمـــر مـــن هنـــا، 1995م). عنــدما ظهــر عبــده خــال علــى المشــهد القصصــي بمجموعتــه القصصـــية الأولـــى (حـــوار علـــى بوابـــة الأرض، 1987م) كـــان جيـــل محمـــد علـــوان وجـــار الله الحميـــد وعبداللـــة باخشـــوين وحســين علـــي حســين قـــد اســتقرت أدواتـــه الجماليـــة والفكريـــة فـــي كتابـــة القصـــة القصـــيرة، ولـــم يبـــق إلا تتويجهـــا بكتابـــة الروايـــة، لكــن أيــاً مــن هــؤلاء الكتــاب لــم يتقــدم لكتابــة الروايــة. غيــر أن عبــده خــال، وجيلــه مــن بعــده، يخــرج عــن المــألوف ويقــدم مشـــروعه الروائـــي الـــذي ازداد جـــرأة ونضـــجاً فنيـــاً مـــع تزايـــد أعمالــه حتــى بلغــت ســت روايــات. عبــده خــال كتــب القصــة وعينــه علـــى الروايـــةوظل يصـــدر قصصـــه القصـــيرة حتـــى فاجـــأ المتـــابعين بكســـر الجمـــود الروائـــي بإصـــدار روايـــة المـــوت يمـــر مــن هنــا فــي عــام 1995م. وقبــل أن يأخــذنا الظــن بأنهــا ســتكون تجربـــة يتيمـــة، فـــإن عبـــده خـــال انـــدفع يكتـــب روايـــة متطـــورة متوازنـــة بـــين حاجتـــه للكـــم مـــن ناحيـــة، ومراعاتـــه للجـــودة الســـردية مـــن ناحيـــة أخـــرى حتـــى توجهـــا بروايـــة (الطـــين، 2001م) التـــي تعــد مــن بــين الروايــات المهمــة فــي مســيرة الروايــة الســعودية. لقـــد كانـــت مرحلـــة التســـعينيات وخاصـــة أواخرهـــا ومـــا بعـــدها مرحلـــة روائيـــة خصـــبة انـــدفع فيهـــا الكتـــاب الأحـــدث ســـناً إلـــى تقـــديم روايـــات مهمـــة علـــى صـــعيد التطـــور التقنـــي مـــن أمثـــال عبـــد الله التعـــــزي وروايتـــــه)الحفـــائر تتـــنفس، 2001م)، ومحمـــــد حســـــن علـــوان وروايتـــه) ســـقف الكفايـــة،2002 م) ويوســـف المحيميـــد

وروايته (فخاخ الرائحة، 2002م)، وعبد الحفيظ الشمري وروايته (فيضة الرعد، 2002م)، وإبراهيم شحبي وروايته (أنثى تشطر القبيلة، 2002م) وغيرهم. كما أن هناك كتاباً استسهلوا كتابة الرواية، فقدموا أعمالاً تتسم بالضعف الفني، ربما أغراهم على كتابتها الحضور الإعلامي الذي حظي به كتاب الرواية، بالإضافة إلى غياب جدية المتابعة النقدية. فالنقد كان حاضراً، غير أنه كان في غالبه صحفياً مجاملاً وغير جدي في طروحاته وقراءاته.

لا يكتمل الحديث عن تجربة الرواية إلا بالحديث عن دور المرأة في كتابة الرواية. فالحضور الفعلي للكتابات النسائية الروائية بدأت في حقبة الثمانينيات الميلادية من خلال كوكبة من الأسماء التي دخلت المشهد الروائي لأول مرة، من أمثال: أمل شطا، ورجاء عالم، وبهية بوسبيت، وصفية بغدادي، وصفية عنبر. ثم توقف إسهام المرأة تقريباً حتى مرحلة التسعينيات الميلادية عندما بدأت رجاء عالم في تقديم تجربتها المختلفة من حيث الكم وطريقة التناول وطبيعة الموضوعات الأثيرة لديها وخاصة رغبتها الدائمة في اكتشاف ميتافيزيقية الواقع إذا جاز التعبير. فهي تنطلق من الواقع من أجل أسطرته كما في رواية) مسرى يا رقيب، 1997م)، أو في رواية (خاتم، 2003م). ويمكن للقارئ أن يتوقف أيضاً أمام التجارب الأحدث مثل تجربة ليلى الجهني في رواية) الفردوس اليباب،1998 م)، ورواية نورة الغامدي) وجهة البوصلة،2002 م)، ورواية مها الفيصل)توبة وسُليى،2003 م)، ورواية نداء أبو علي) مزامير من ورق، 2003م)، ورواية رجاء الصانع (بنات الرياض، 2005م)، ورواية بدرية البشر (هند والعسكر، 2006م)، ورواية أميمة الخميس (البحريات، 2006م)، وغيرها من التجارب الروائية.

هل نستطيع أن نقول إن الرواية في مرحلة الإيقاع المتسارع قد امتلكت زمام المبادرة في التوجيه وبث رسائلها التنويرية بعيداً عن سلطة المجتمع المحافظ، أم أنها خطوة في طريق

طويل تجاهد فيه الرواية لتغيير المفاهيم وتأكيد قدرتها على النفاذ إلى عمق المجتمع؟ إن قولاً مثل هذا على إطلاقه يبدو متسرعاً أو غير مدرك لحقيقة العلاقة بين المحافظة والرواية. فالعلاقة ضدية دائماً، لأن الثقافة المحافظة لها اشتراطاتها التي تجتمع فيها عوامل الديني والسياسي والقبلي، وأي من هذه العوامل لا يمكن أن يتنازل عن اشتراطاته طواعية. وفي المقابل فإن الرواية لا تصبح رواية مؤثرة في سياقها الخارجي إلا إذا جاءت وفقاً لاشتراطات الفن الروائي ذاته ووفقاً لرؤية وموقف كاتبها من قضايا مجتمعه. المفارقة التي يلحظها المتابع للرواية في السعودية هي أنها بدأت إصلاحية وانتهت كاشفة ومتقاطعة مع الواقع وأقل مثالية في نظرتها للمجتمع. كما أن المراقب لا بد أن يلاحظ أن الرواية التي بدأت توفيقية في رؤيتها، مهادنة في تقديمها للواقع، إصلاحية في رسالتها، كانت أقل حضوراً من الناحية الفنية. أما في لحظة صبوتها وبحثها عن فهم تركيبة المجتمع وتركيزها على أزمة الفرد وقلقه في مجتمع محافظ، وقدرتها على حشد الإثارة والاختراق، فقد اتسمت بتطور فني ملموس. غير أن هذه الجرأة النسبية التي وصلت إليها الرواية في السنوات الأخيرة حرمتها من التواجد داخل البلاد. فكثير من الروايات صدرت في الخارج إما لضعف سوق النشر هنا أو لعدم قدرة المؤسسات الثقافية من ناحية، والرقابة من ناحية أخرى على تقبل الطرح الروائي الجديد. ورغم تعدد الأسباب حول ظاهرة النشر في الخارج، فإن السؤال يبقى، إلى متى تظل هذه الكتابات مغتربة عن قارئها في الداخل؟

المصادر:

- النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية" لمحمد عبدالرحمن الشامخ

- سلطان سعد القحطاني: الرواية في المملكة العربية السعودية، نشأتها وتطورها، 0391 – 9891، دراسة تاريخية نقدية، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر والرياض، 9141 هجرية، 8991 م .

- الاتجاه الواقعي في القصة السعودية القصيرة لحصة محيا سراج الحارثي

- الحازمي، منصور. فن القصة في الأدب السعودي الحديث. الرياض: دار العلوم، 1981

- القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية خلال القرن العشرين مدخل تاريخي/ د. حسن بن حجاب الحازمي: أستاذ النقد الأدبي الحديث المساعد بجامعة جازان

- مراحل تطور الرواية السعودية د. حسن النعمي
http://www.shatharat.net/vb/showthread.php?t=9360

- الرواية السعودية تاريخها وتطورها محمد عبدالله المزيني

http://www.al-jazirah.com/2011/20110825/cu14.htm

الفهـــرس

م	العنـــوان	رقم الصفحة
1	**أهــداء**	2
2	**مقدمة**	3
3	**الباب الأول:** نشأة الرواية السعودية وتطورها تاريخياً ونقدياً	5
4	**الباب الثاني:** عومل ظهور الرواية السعودية	7

5	**الباب الثالث:** مراحل تطور الادب السعودي	9
6	**الباب الرابع:** بدايات الرواية السعودية	15
7	**الباب الخامس:** الرواية النسائية وشرط الوجود التاريخي	19
8	**المصادر**	26